

طقوس الإحتفال بالمولد النبوي الشريف: أية دلالات رمزية للمدائح الدينية؟

Rituals of celebrating the Prophet Muhammad's birthday: What symbolic meanings do religious praises hold?

ميلودي محمد^{1*}

¹جامعة محمد بن أحمد وهران2- الجزائر-

miloudi.Mohamed@univ-oran2.dz

²ياحي فاطمة الزهراء

²جامعة ابن خلدون تيارت -الجزائر-

fatimazahra.yahi@univ-tiaret.dz

تاريخ القبول: 2024/12/28

تاريخ الاستلام: 2024/11/29

ملخص:

شكّل موضوع الطقوس الإحتفالية من بين أهم الظواهر الاجتماعية التي تعود إلى ماضي البشرية على مرّ العصور باعتبار هذه الممارسات ماهي إلاّ تعبيرات رمزية تحدد هوية جماعة أو شعب ما، مما أصبحت هذه الظاهرة الاجتماعية محل أنظار العديد من الباحثين خاصة منهم الأنثروبولوجيون، وذلك قصد كشف الستار لهذه الظاهرة الدينية الإحتفالية (المولد النبوي الشريف) للمجتمع الجزائري والكشف عن المضامين الرمزية، ناهيك عن إحياء الذاكرة الدينية بين أفراد المجتمع، لهذا جاءت هذه الورقة البحثية للتنقيب في رمزية المدائح المتداولة لظاهرة الإحتفال بسيد الخلق محمد عليه الصلاة والسلام، ووظائفها الاجتماعية والروحية، إضافة إلى رصد العديد من الطقوس والممارسات المرافقة لهذه الشعائر الدينية للأسرة الجزائرية في قالب فني يأخذ طابعا جماليا.

الكلمات الدالة: الطقوس، الدين، المديح النبوي الشريف، المقلّس.

Abstract:

The topic of celebratory rituals has been one of the most important social phenomena that date back to the past of humanity throughout the ages, as these practices are merely symbolic expressions that define the identity of a certain group

* المؤلف المرسل: ميلودي محمد ، الايميل: author@mail.dz

or people. This social phenomenon has become the focus of many researchers, especially anthropologists, as we shed light on this religious celebratory phenomenon (the celebration of the Prophet's birth) in Algerian society, while also exploring the discourse of these praises and reviving the religious memory among members of the community. Therefore, this research paper aims to delve into the symbolism of the praises associated with the celebration of the Prophet Muhammad (peace be upon him) and its spiritual and social roles, in addition to documenting many of the rituals and practices accompanying these religious ceremonies within the Algerian family in an artistic framework that takes on an aesthetic character

Keywords: Rituals; religion; noble prophetic praise; the sacred.

مقدمة:

إنّ البحث والدراسة في الخصوصيات الثقافية والاجتماعية التي تميز كل مجتمع عن آخر، لا يمكن دراستها منفردة أو بعزلها عن المجتمع بكل محتوياته وشرائحه وتركيبته المتعددة، وتعتبر الأسرة إحدى تركيبات المجتمع التي لها دلالات رمزية تشكّل وتحمّد إتجاهات سير المجتمع، فما تكتنزه الأسرة من عادات وتقاليد تشكّل بمحتواها تركيبية تجعلها تتميز تاريخيا، سياسيا، إجتماعيا، ثقافيا ودينيا وغيرها، ولرصد تلك العادات والتقاليد الممارسة، وحتى معرفة تغيراتها عبر ديناميكية المجتمع خصوصا مع تغير المجتمع، وبالتالي الأسرة وانتقالها من العائلة ذات النمط الممتد إلى النمط النواتي، أدى إلى تغيير العديد من وظائفها وعلاقاتها وحتى تركيبتها البنوية. وفي هذا السياق ارتأينا أن نتطرق عن مسألة التراث الديني الذي نال الحلقة الأمتن في هذه الورقة البحثية، كما لا يخفى عنّا أنّ المجتمع الجزائري يمتاز بمجموعة من العادات والتقاليد المستمدة أصولها من الهوية الدينية التي لها سلطة في المخيال الشعبي تتأطر بوادرها عبر وفق نمط متعدد الأبعاد: روحاني، ديني، نفسي، إجتماعي. وعلى هذا الأساس أردنا أن نسلط الضوء في حيثيات ظاهرة الإحتفال بالمولود النبوي الشريف من خلال معرفة أهم العادات والطقوس الدينية الممارسة لأفراد المجتمع الجزائري، والكشف عن الأبعاد الرمزية للمدائح الدينية التي تدخل ضمن المتخيّل الديني لأفراد الأسرة، على الرغم من التحوّل الذي مسّ الأسرة الجزائرية نتيجة التطور السريع المتعدد الأبعاد التكنولوجي، العلمي، الاقتصادي، السياسي وغيرها، إلا أن الأسرة الجزائرية مازالت محافظة على عاداتها وتقاليدها كحصانة أو كمناعة ضد

هذا التطور الذي بدوره أفرز ممارسات واتجاهات وسلوكيات جديدة، ومن العادات والتقاليد كالإحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي له ممارسات بالرغم من تنوعه عبر كامل التراب الوطني الجزائري. ووفق ما تقدم يمكن طرح التساؤل التالي :

كيف تتم طريقة الإحتفال بظاهرة المولد النبوي الشريف من مختلف الطقوس والشعائر لأفراد الأسرة الجزائرية من خلال تحوّلها من نمط التقليدي إلى النمط النواتي أن تتعايش بحاضرها وفق عادات وتقاليد موروثة سالفا؟ وماهي الخلفيات الرمزية التي تركها المذاهب الدينية في نفوس المحتفلين بظاهرة المولد النبوي الشريف؟ تهدف هذه الورقة البحثية (النظرية) إلى استعراض أهم الطقوس والممارسات المصاحبة لظاهرة الإحتفال بالمولد النبوي الشريف، في المجتمع الجزائري، وفق مقترح أنثروبولوجي، يشرّح معاني طقوس وممارسات هذه المناسبة الدينية، مع الكشف عن التحولات والتغيّرات التي لامست هذه العادات والطقوس بين اليوم والأمس، بالإضافة إلى تبيان أهمية ودور مختلف الجمعيات الدينية والثقافية في ترسيخ هذه القيم الدينية لهذا الجيل. وضرورة كشف الستار عن أهم مظاهر الإحتفال بالمولد النبوي الشريف، والعوامل المؤثرة في هذه الظاهرة الدينية.

أولا: تحديد المفاهيم

عادة ما يتم إلى فك شفرة بعض المفاهيم المرتبطة بالدراسة لأي باحث مهما كانت فلسفته ونظريته العلمية والمعرفية، بهدف التحكّم في زمام متغيرات الحقل الذي يريد دراسته، ومن هنا توجب علينا التطرق لأهم المفاهيم على النحو الآتي:

1 الطقوس:

« يعتبر الباحث "لوك دوموش" لفظة الطقوس حاملة لمعنى واضح بيننا على الرغم من اختلاف المدارس المنتمية للأنثروبولوجيا الدينية، إنها نسق سيميولوجي مستقل يستعمل الحركة أساسا وإن كانت اللغة غير غائبة » (نور الدين الزاهي، 2011، ص79-80).

كما يشير Louis Trébuchet الطقس على أنه : يرتكز على عدة ل جوانب : (الجسم، الشكل، الحركة، اللمس، الكلام)¹(Louis Trébuchet,2011, p22). فلا يمكن أن نتطرق إلى الطقوس خاصة في المقاربة الأنثروبولوجية دون «ذكر الأنثروبولوجي آرنولد فان جينب Genneb.A. V في كتابه : "طقوس العبور" التي تعبر في حد ذاتها عن المراحل التي يمر بها الإنسان أو الإنسانية من مراحل مختلفة من تطور في الحالة الاجتماعية · (Arnold Genneb, 1981, p196)

فالطقوس هي عبارة عن ممارسة تأخذ طابع رمزي تعبر عن كينونة الجماعة لجملة من الرموز والإشارات على ظاهرة الإحتفال بطقس المولد النبوي الشريف على المحك. الذي يندرج ضمن قدسية الطقوس.

2 الدين

«قدّم دوركايم تعريفا للدين على أساس مجتمعي وثقافي، لا على أساس لاهوتي أو عقائدي أو ألوهي، حيث يقول : الدين نسق موحّد من المعتقدات والممارسات ذات الصلة بأشياء مقدّسة، بمعنى أنّها أشياء متفردة ذات حرمة – معتقدات وممارسات تتوحد في مجتمع أخلاقي واحد يسمى دار العبادة) «جميل حمداوي، 2020، ص 29-30». في حين A Réville الدين هو الوصول إلى درجة من الحياة البشرية ، وذلك من خلال الإحساس بالوجدان المشترك، بين أفراد المجتمع، عبر الإتصال الروحاني بقوى خفية تتحكم في هذا العالم.² (Emile Durkheim,1912, p50)

الدين ظاهرة دينية واجتماعية تعبر عن هوية الجماعات والمجتمعات، من خلال تبني جملة من الطقوس والشعائر الدينية، التي تدخل ضمن نطاق المعتقدات حول موضوع يتسم بالقداسة التي تجمع الشعوب والحضارات على مرّ التاريخ.

3 المديح النبوي الشريف

ثقافة الإحتفال التي تندرج ضمن الشعائر الدينية (ممارسات وطقوس)، للاحتفال بظاهرة المولد النبوي الشريف، حيث تعمّ الفرحة والفرجة من أهازيج وزغاريد إلى جانب ممارسة طقوس دينية كقراءة القرآن الكريم والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وإقامة التهليلات والمدائح الخاصة بخاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

4 المقدّس

« هو تلك القوة الخفية واللاشخصية، الخيرة، والرهيبة التي يعتقد أنها وراء كل سلطان، كل سعادة وكل شقاء» (الهادي محمد السعدي، 2016، ص 62).

فالمقدّس يشمل تلك الممارسات والطقوس التي يمجها المسلمون بمناسبة المولد النبوي الشريف، فهي تحظى بالقداسة في تأديتها كقراءة القرآن الكريم، والأدعية، التي تكتسي حلّة روحية ودينية محضة. كما أنّ المدائح الديّنية مستمدة أصولها من المرجعية الديّنية (القرآن الكريم)

ثانيا: ظاهرة الإحتفال بالمولد النبوي الشريف: طقوس وممارسات

شكّلت هذه المناسبة الديّنية كظاهرة مقدسة عبر الزمان والمكان، لما تكتسيه من أهمية كبيرة في حياة المسلمين عموما، لفهم الثقافة الدينية لديهم، وهنا نستحضر فكرة " مرسا إلياد" الذي يرى بأنّ الأسطورة في حد ذاتها تحكي عن حادثة مقدّسة، بمعنى حدث هامّ جدا له حضور مع الزمن، وهذه الحادثة المقدسة تعادل أو تشبه لغز، كما أن الأشخاص لا يأتون على شكل إناسة بل هم آلهة (85-84 p 1995 Mirea Eliade).

والمتتبع في هذا المضمار، تكمن العلاقة الوطيدة بين القيم الإنسانية والعقيدة، حيث يتجلى التاريخ الحضاري للإنسان في مسألة الدّين، من قواعد وأنظمة دينية التي هي في حقيقة الأمر، ماهي إلاّ تعبيرات على الصعيد الروحي والفكري والأخلاقي. (الشيخ حسين شحادة، 2010، ص 371).

يعتبر المولد النبوي الشريف عن الكيان الروحي لدى كل أسرة جزائرية بصفة خاصة (سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم)، والذي يمثل في 12 من ربيع الأول بالتقويم الهجري، والذي يمكن أن يقابل في الأسرة الغربية المدعو "بالكريسمس" يمثل مولد المسيح "إبن مريم"، والذي تحتفل به الأسر الغربية خلال 25 ديسمبر من كل عام حسب التقويم الميلادي، مما يظهر اختلاف الحساب التقويمي حسب الإسلام يعتمد على ماهو هجري الذي يمثل التقويم القمري بينما المسيحي الاعتماد على التقويم الميلادي. أي الاعتماد على الشمس. مما يعكس الجوانب المختلفة لكل دين وتقاليد، ومنه اختلاف الطقوس والممارسات بين الثقافتين. إن احتفالية المولد النبوي الشريف هو تعبير عن حماية الأسرة لموروثها الديني الاجتماعي والثقافي وسيورته عبر الزمن وتوارثه من جيل إلى جيل، كون أن الأسرة هي الناقل الأول للموروث الشعبي خاصة الأم أو الجدة في الإحتفالات الدينية على سبيل الخصوص، وما يوازيه من تحضيرات منزلية من مأكولات شعبية، لباس تقليدي، تنظيف المنزل، وتزيينه بإضفاء اللمسة التقليدية والمزج بين ما هو حدائي عصري، الإنشاد الديني، الأذكار كل هاته المظاهر تشكل في مجملها قالب ذو طابع ديني روحي بامتياز، توارثتها الأسرة أبا عن جد، فهي بذلك تحقق أمنها اطمئنانها في مقابل ما تعانیه من قلق وتوتر أفرزه التطور العصري ومقابل التناقض الذي يعترضها في الإحتفالات الحديثة أو الغربية (المولد النبوي الشريف /كريسمس).

إن إعادة إنتاج هذه العادات والتقاليد من خلال الإحتفال الديني "المولد النبوي الشريف" هي بمثابة مصدر يشكل هويتها الدينية والثقافية، ومن جهة أخرى المحافظة عليه. هو صمام أمان ضد الغزو الثقافي وموجات العولمة التي تغتال وتختزل الخصوصية الثقافية، الاجتماعية والدينية، تطمح إلى ثقافة واحدة تنفي تلك التعددية والتنوع الثقافي، فاحتفالية المولد النبوي الشريف هو أحد مظاهر الكيان الروحي. وواجهته لدى الأسرة الذي يمارس وفق ممارسات معينة وعادات متنوعة في جزئيات، لكن على العموم فهو طقس ديني محض متواجد لدى كل أسرة جزائرية بغض النظر عن مستواها الاقتصادي، الاجتماعي، التعليمي.

الإحتفال الديني يشكل قوة اجتماعية وقد أشار إلى هاته النقطة شرابي هشام إلى أنّ هذا الإحتفال الديني يشكل قوة اجتماعية. بحيث يجعل المجتمعات الإسلامية التي تحيي هذه الإحتفالية، كطقس ديني، موحدة عبر رابطة هذا الطقس المقدّس، يحيي روح الإنتماء والشعور والإحساس بالطمأنينة نفسيا وروحيا تتجلى معاملة في هذه الممارسات والسلوكيات . (شرابي هشام، 1985، ص 20).

إنّ ممارسة هكذا طقوس وعادات وتقاليد هي في حقيقتها تسعى إلى مجابهة متطلبات الحياة الحديثة التي تعكس توترا وقلقا على الفرد، وبالتالي القيام بها إنما تعبر عن انتماء وتراث وأصالتها.

فالأسرة الجزائرية على تنوع وخصوصية كل أسرة، إلا أنّها ظلت تمارس احتفالية المولد النبوي الشريف بدون إنقطاع أو أنّها تشكل عائقا نحو التطور و التقدم، وإنما بممارساتها تعكس وتحمّد مدى تمسكها بتراثها الأصيل وانتمائها الديني والروحي.

إنّ تمسك الأسرة بهاته الاحتفالية هو مظهر يبرز ميول الأسرة الجزائرية وحبّها، وهكذا احتفاليات وإقامتها بطريقة مميزة وخاصة، تحضر لها ماديا (حناء، شموع ، تزيين البيت وتنظيفه، مأكولات تقليدية: بركوكوس الغرب الجزائري، الرشته الوسط الجزائري، الثريد ما يعرف بمنطقة تلمسان ، "الكسكس" كأكلة تقليدية متوارثة بعيدا عن الأكلات العصرية: كالبيتزا والطاكوس وليسوفلي، إلى جانب طبق الطمينة أو البسيصة في بعض المناطق، الطمينة، السفنج والبغبرير أو ما يعرف بالغرارف في بعض المناطق الجزائرية تحضيرها وتقديمها مساء، وإشعال الشموع مساء حتى تنطفئ لوحدها وهناك دلالة رمزية عند إشعال الشموع حيث تعلم كل شمعة بإسم كل فرد من الأسرة وتكون بعدد أفراد الأسرة ، كما ترمز إلى طول العمر التي تبقى كآخر شمعة تنطفئ والصحة الجيدة مستقبلا كفأل خير ، وترمز إلى طابعها الديني الذي يوحي بالنور الذي يضيء العتمة التي ترمز في مضمونها الديني إلى الظلم والضلالة، بالإضافة إلى اللباس التقليدي خاصة الأطفال : كالكركو، قفطان، جبة قبائلية، شدة الجص للبنات و الجبادور أو العباءة للذكور.

إنّ هاته التحضيرات تدخل في النفس الأمن والإطمئنان واستحضار الماضي بهاته الإحتفالية، وتعكس إستحضار الذاكرة الشعبية المخزنة لدى كل فرد، تحتفظ بزمان وثقافة إجتماعية دينية بهاته الإحتفالية.

ثالثا: احتفالية المولد النبوي ذات أبعاد متعددة

إنّ ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف لدى الأسرة الجزائرية له طابع مميز قد تصل إلى بعض الأسر إلى درجة التقديس، وأصبحت من القيم الثقافية والاجتماعية الثابتة لديها حدث يجمع كل الجزائريين بعيدا عن كل التأويلات، تتعدد طرق الإحتفال به معلنة انتماءها الديني المقدس لها أبعاد اجتماعية ، دينية، ثقافية، اجتماعيا : التقارب العائلي في مقابل الفردانية التي فرضها التطور الحالي ، فهو احتفال للإلتقاء العائلي الحميمي، البعد عن كل ما هو مادي بعزومة أو ما يعرف باللفظ الجزائري "العرضة" غالبا يقام العشاء ليلا للإحتضان العائلي في حالة صادف يوم العمل بالنسبة للموظفين، وبالتالي تعكس الارتباط والتماسك الأسري وتقوية الرابطة الأسري بإحتفالية المولد ذات المرجعية الدينية. ولخص يورغن هابرماس إلى أن تبقى الممارسات الدينية إحدى الرهانات الأساسية التي تنظم الحياة القيمية والأخلاقية والثقافية القائمة على روح التضامن والتكافل الاجتماعي الذي يحقق الاحترام. (يورغن هابرماس، 2013، ص 25)، ومن جهة ثانية تعزيز الذات الجماعية ثقافيا وسيرورة التراث الديني وتناقله من جيل إلى جيل تمسكا بالهوية الثقافية المستمدة بمرجعية دينية، وفي هذا الصدد، نستشهد بالمفكر ابن خلدون، عندما أكد على عصبية العرب التي جمعها الدين الإسلامي وجابوا أمم فارس والروم. (سالمة محمود محمد عبد القادر، 1971، ص 206-207).

1. البعد التاريخي للإحتفال بالمولد النبوي الشريف:

أول ما ظهر الاحتفال المولد النبوي الشريف عند الشيعة الاسماعيلية خلال القرن الرابع هجري/ العاشر الميلادي، وتشير المصادر الاخبارية التي اهتمت بتاريخ الفواطم وعاداتهم في احتفالاتهم بالمولديات كالمقريري في الخطط و القلقشندي في صبح الأعشا إلى أنهم أول من سن هذه العادة وتوارثها عنهم من جاء بعدهم من ملوك بلاد الشام والعراق ومصر لاسيما في بلاد ما واره النهرين التي شهدت احتفالا ضخما لمولد النبي

وبالضبط في مدينة إربل نهاية القرن السادس هجري / الثامن عشر ميلادي ، ثم عممت هذه العادة بلاد المشرق والمغرب . " (غزالي عبد العالي ، نقادي سيدي محمد ، 2020 ، ص 32)

" أما المجتمع الزباني بتلمسان من خلال ما تم الإشارة اليه من المصادر التاريخية أنه تخلف عن هذا الاحتفال نتيجة الظروف السياسية والصراعات العسكرية وعدم الاستقرار الأمني خاصة بعد الغزوات التي تعرضت لها من قبل بني حفص وبني مرين وبالتالي عرفوها بعد الغزوات " . (غزالي عبد العالي، نفس المرجع السابق، 2020 ، ص 33).

2: الإحتفال بالمولد النبوي كبعد إيديولوجي:

لقد حظي رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم باهتمام كبير في مسار التاريخ الإسلامي لتبليغ الرسالة، حيث يرجع نسبه الشريف إلى قبيلة قريش، وتعتبر هذه المناسبة الدينية لمولده كصورة تذكارية مخلدة له في نشر الإسلام .

إن استحضار شخصية النبي عليه الصلاة والسلام يعد تجسيدا للتماسك السياسي الذي يعبر عن الوحدة. إن هذه المرجعية تخص جميع الدول الإسلامية حول شخصية محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. كما نلاحظ استمرارية هذا النظام في مجتمعات المغرب العربي خاصة وفي الجزائر، فيما يخص كل من قنادسة وتيميون كنماذج لازالت موجودة في الوقت الراهن ، كما أنه في المجتمعات الإسلامية يتم تنظيم فعاليات واحتفالات، خاصة تركز على ذكر النسب الشريف للنبي مما يعزز الفخر والانتماء للمسلمين من مختلف الأعمار والخلفيات، مما يعزز الوحدة والتلاحم بين أفراد الأمة الإسلامية. ويؤكد على الفخر بالانتماء للنبي محمد عليه الصلاة والسلام، مما يعكس أنه مرتبط بالقيم والمبادئ الإسلامية التي تمثلها شخصية النبي محمد عليه الصلاة والسلام ويعتبر الاحتفال بمولده فرصة لنشر هذه القيم والمبادئ في المجتمع. وفي نفس السياق، نستدرج دراسة عبد الرحمان موساوي لفهم ظاهرة طقوس المولد النبوي الشريف، كصبغة محلية، التي ترجع

للزاوية الشهيرة قنادسة، حيث ربط هذه الظاهرة وفق سياقها الجغرافي المحلي، وذلك باعتبار أن هذه الطقوس ليست لها أبعاد دينية محضة فقط، بل هي نابغة من عمق وثقافة وتاريخ المنطقة، التي ترجع إلى مؤسسي هذه الزاوية تزامنا مع إحياء ذكرى القديس سيدي محمد بن بوزيان، حيث يأتي سكان المدينة الأصليون المنتسبون للزاوية للإحتفال بالمولد النبوي الشريف، كما يصبح الإحتفال بهذه المناسبة فرصة للتعبير عن الهوية الجماعية وتعزيز الروابط الاجتماعية، فالاحتفال داخل القصر يعيد إحياء هذا التراث الأثري، مع العودة للماضي من خلال القراءة في مجموعة من العلامات والرموز التي تنسب للقصر، مع الشعور بالانتماء لهذه الأمة. كما رجح عبد الرحمان موساوي إلى البعد الرمزي الذي يتخذه القصر، معتبرا بذلك، القصر تحول من فضاء احتفالي إلى فضاء مقدّس، ترسخ فيه مجمل القيم والممارسات الدينية والروحية (Abderrahmane Moussaoui, 2002, p 45-65)

3: الإحتفال بالمولد النبوي الشريف سلوك ثقافي اجتماعي

إنّ كل أسرة تقدم لأفرادها وأجيالها قاعدة ثقافية تميزها ثقافيا واجتماعيا عن أسر أخرى، فالثقافة هي متنوعة ومتعددة حتى للأسرة الواحدة. غير أن هناك ثقافة مشتركة بين الأسر كاللغة، السلوك العام. ولعل الإحتفال بالمولد النبوي هو أحد الممارسات المتناقلة بين الأجيال وفق سيرورة من خلال ممارسات متعددة ومتنوعة تعبر عن خصوصية كل أسرة، بما تميزها عن غيرها من الأسر كالإختلاف الجغرافي، الثقافي، الاجتماعي، الاقتصادي وغيرها تحافظ على هويتها الثقافية وترسخ للأصالة والتراث. « إنّ الثقافة أمر اجتماعي ولا سبيل للبرهنة على إمكان انتقالها في السلالة البشرية بالوراثة البيولوجية » (صلاح الدين شروخ، 2004، ص181).

كما يمكن القول أن احتفالية المولد هي ثروة اجتماعية تعكس نشاط أو ممارسة مشتركة بين الأسر الجزائرية، تحقق حد مثالي للتطور الاجتماعي، تحقق تماسك الجسد الاجتماعي للأسرة الجزائرية.

4 المولد النبوي هو ذات قيمة خلقية

إذن يمكن القول أنّ العلاقة بين الإنسان والله هي علاقة روحية جسدت من خلال هذا الإحتفال، وأضفت عليه طابع الاجتماعي ذات علاقة اجتماعية. حيث يرى مالك بن نبي العلاقة الثنائية بين الفرد وربّه هي علاقة روحانية مرتبطة بالمجال الزمني (مالك بن نبي، 2007، ص 64).

من خلال هذا، يمكن اعتبار أن الاحتفالية بالمولد النبوي الشريف هي طريقة مباشرة العلاقة المتبادلة بين أفراد الأسرة كجانب اجتماعي، الجانب النفسي: حساسية أخلاقية دينية وروحية محضة مجسدة تشابه الحدود الروحية للأسرة الجزائرية، حين يرسم داخل هذه الحدود معالم ثقافية محددة، إذن الاحتفاء به هو مجال أو فضاء روحي يبرز الثقافة الإسلامية استشرهما في محيطه الأسري من خلال التنشئة الاجتماعية وفي مجاله الروحي الذي يحوط وجوده المعنوي الذي يحدد ذاتنا نحو ثقافة معينة، وبالتالي رسم مميزاتها وخصوصياتها هذه الأخيرة التي هي مادة دسمة للأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماع ولب وجوهر كل ثقافة تميز عن الأخرى في أي مجتمع كان.

خامسا: المديح الديني عادة متوارثة لإحياء المولد النبوي الشريف: بين الوظائف والدلالات الرمزية؟
« وكان يحتفل المولد المصطفى عليه الصلاة والسلام، احتفال أسلافه الكرام، قول محمد بن يوسف الثغري:

أجل بدزر الرسل نورا وبهجة وأجمل خلق رى في حلة حمراء

وأصدق من في عالم الكون لهجة وأشرفهم صدرا وأرفعهم قدرا » (محمد بن عبد الله التنسي، 2011، ص 112).

تنوعت المدائح الدينية والأغاني الشعبية، وتعددت باختلاف مناسباتها ومواضيعها والاحتفاء بالمولد النبوي الشريف، هو أحد الاحتفالات التي لا يمكن الإستغناء عن المديح الديني، وما يطلق عليه بالغرب الجزائري باسم "التبراش" التي تؤدي ليلة المولد النبوي الشريف، حيث تتجمع النسوة وتشعلن الشموع، ويبدأن في أداء المديح الخاص بالرسول ومن بين هذه المدائح المعروفة لدى معظم النساء تقول: وهو منقول عن طريق السمع فق من الكبار أثناء تأديتها .

"يا عيشة لا ترقدي يا عيشة لا ترقدي"

حلي الباب واتصنتي والليلة يزيد النبي

البارح زاد واتسمى والجماعة متلمة "

أما الأغنية الثانية التي لها نفس الغرض تقول :

صلى الله عليك يا نبينا والهاشمي يا رسول الله

آ صليت عليك ديما ديما والشريف ولد حليلة

والمديح الديني المعروف والذي أداه في قالب روحي ديني مميز لا تستغني عن أدائه كل أسرة

زاد النبي وفرحنا بيه صلى الله عليه يا عاشقين رسول الله صلى الله عليه

صلوا على بن أمينة صلى الله عليه فارس مكة والمدينة صلى الله عليه

نلاحظ هذا المديح وما يتضمنه من تربية إسلامية والحفاظ على هذا الاحتفال ومدى قداسة الدين الإسلامي، وكذا القيمة التي أولها الله لسيد الخلق محمد وما وكل إليه هاته الرسالة للهداية، وإتمام مكارم الأخلاق التي هي جوهر الدين الإسلامي الذي هو منهاج حياة كل فرد مسلم.

تعمل هذه المدائح بدورها إلى عدة وظائف منها ما هو روحاني بالدرجة الأولى، حيث تساهم في تقوية الإيمان في نفوس المحتفلين، عبر هذا الحبل التواصلي الروحاني، من خلال التقرب إلى الله، والإقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى جانب الوظيفة النفسية، تكمن في الاستماع لمثل هذه المدائح النبوية، تعمل بدورها على الشعور بالسكينة، والتخفيف من الضغوطات الدنيوية. أما الوظيفة الاجتماعية والثقافية، تتمثل أساسا في تقوية الرابطة الاجتماعية والدينية كروح التضامن والتكافل، وتقوم هذه المدائح في ترسيخ القيم الدينية من خلال إحياء التراث الإسلامي، الذي توارثناه أبا عن جد، الذي يحافظ على الهوية الثقافية والدينية.

تقوم المدائح بعدة وظائف، تقوية الإيمان لدى المحتفلين، وتطهير النفس الهزيلة، من كل شهوات وغرائز، والتخفيف من الأمراض والضغوط النفسية، وفجائع الموت المفاجئ. (خالد عيقون، 2011، ص 160).

ترمز هذه المدائح الدينية في مدلولها إلى إيقاظ الروح الدينية، ولفت الانتباه لدى السامعين بطريقة جماعية تشكّل لهم وجدان ديني موحد، وهذا ما يسميه إميل دوركايم الوعي الجمعي "collective conscience" (Emile Durkheim, 1995 p 48). إلى جانب الوعي الإسلامي والدراية الواسعة لتعاليم الثقافة الإسلامية، والتمسك بمبادئها وتمريرها عن طريق المديح الديني، غالبا ما يكون عن طريق سماع الكبار أثناء تأديته داخل الأسرة الجزائرية في الإحتفالات الدينية والمناسبات العائلية، والتي نعتبرها فناً من فنون الثقافة الشعبية الجزائرية تحمل العديد من المرجعيات الدينية، التاريخية، الاجتماعية، النفسية وفق الإحتفال المقام.

خاتمة:

يُعتبر الإحتفال بذكرى ميلاد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، في الأسرة الجزائرية، كممارسة دينية عميقة الجذور، حيث تعبر عن تقدير هذه المناسبة على الصعيدين الروحي والمعنوي. يظهر هذا الإحتفال الذي يشمل المدائح النبوية، مدى اهتمام الأسرة بإحياء هذه الذكرى الدينية، إذ تظل هذه العادة المتوارثة راسخة في عقول المحتفلين، وتُشكل جزءاً لا يتجزأ من هويتهم وقيمهم الروحية. وفي الختام، يمكننا تقديم بعض الاقتراحات التي سنلخصها كما يلي:

- 1 ضرورة الإهتمام بهذه المناسبة الدينية وإحيائها سنويا، لهذا الجيل قصد تشبعهم بالثقافة العربية الإسلامية
- 2 يجب زرع البذور الروحانية والدينية لهذه الظاهرة الدينية، وذلك قصد مواجهة التحديات التي يشهدها العالم اليوم ومجتمع التحديث، وما يعرفه من تحولات وتغيرات على كافة المستويات.

الكتب باللغة العربية:

1. التنسي محمد بن عبد الله، (2011)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطفا من نظم الدور العقيان في بيان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه: محمود آغا بوعباد، وزارة الثقافة، الجزائر.
2. حمداوي جميل، (2020)، أنثروبولوجيا الطقوس والشعائر الدينية، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، الطبعة الأولى، المغرب.

3. خالد عيقون، (2011)، جمالية المدائح الدينية، الأشكال ، الدلالات ، الأصول أو (بلاغة المدائح المؤدي وجمالية السامع المتلقي)، ملتقى الأمازيغ : القيم الروحية في الثقافة الأمازيغية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر.
4. الزاهي نور الدين، (2011)، المقدس والمجتمع، دار افريقيا الشرق، الطبعة الأولى ، المغرب.
5. سالمة محمود محمد عبد القادر، (1971)، منهجية ابن خلدون في تدوين السيرة النبوية وتفسيرها، دار الكتب العلمية، بيروت.
6. السعدي الهادي محمد، (2016)، الفكر الديني عند مالك بن نبي، الدار العثمانية، الطبعة الأولى، الجزائر.
7. شرابي هشام، (1985)، مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، المطبعة الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت .
8. الشيخ حسين شحادة، (2010)، إجتماعيات الدين والتدين، دراسات في النظرية الإجتماعية والإسلامية، سلسلة الدراسات الحضارية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت.
9. صلاح الدين شروخ، (2004)، علم الاجتماع التربوي ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، عنابة ، الجزائر .
10. غزالي عبد العالي، نقادي سيدي محمد (2020)، حضرة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في تلمسان الزبانية- مقارنة تاريخية أنثروبولوجية- مجلة أنثروبولوجيا الأديان، العدد 02، المجلد 16، جوان، تلمسان (الجزائر).
11. مالك بن نبي، (2007)، ميلاد مجتمع ،شبكة العلاقات، دار الفكر، دمشق.
12. هابرماس يورغن، (2013)، جوديت بنلر وآخرون، قوة الدين في المجال العام، ترجمة فلاح رحيم، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت.

الكتب باللغة الأجنبية:

1. Durkheim Emile, (1912), les Formes élémentaires de la vie Religieuse, le Système Totémique en Australie, PUF , Paris.
2. Durkheim Emile, (1955), the Elementary Froms of Religious Life, A New Translation by Karen , E. Fields, the free Press, London.
3. Eliade Mirea, (1995), le Sacré et le Profane, Gallimard, paris.
4. Gennep Arnold, (1981) , les Rites de Passage, Picard, Paris.

5. Louis Trébuchet, (2011), Rite et Rituels, en résonance avec l'harmonie de l'Univers, Histoire : la naissance de nos rituels, Publications trimestrielle, Mars , N 159 , Paris.
6. Moussaoui Abderrahmane, (2002), Espace et Sacré au Sahara, Ksour et oasis du sud-ouest algérien, CNRS éditions, Paris.